

قصة موسى مع فرعون في يوم عاشوراء

وما أحدثه الناس فيه من بدع ومخالفات

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه.

أيها المؤمنون عباد الله

نحن في أشهر الحرم وهي والقعدة ذو الحجة محرم ورجب الفرض، وإننا نستقبل في أيامنا القريبة القادمة يوماً عظيماً من أيام الله الفاضلة؛ إنه يومٌ له فضيلة عظيمة وحرمةٌ قديمة، إنه يوم أهلك الله عز وجل فيه أشد أهل الأرض طغياناً وأعظمهم إجراماً وأكبرهم عتواً واستكباراً، إنه اليوم الذي أهلك الله عز وجل فيه الطاغية الباغية المستكبر فرعون وجنوده، وكان ذلك الحدّ العظيم والآية الجسيمة في اليوم العاشر من شهر محرم.

عباد الله

إليكم قصة موسى مع فرعون في يوم عاشوراء وما أحدثه الناس فيه من بدع ومخالفات، لقد عاش ذلك الطاغية الظالم، حتى بلغ به طغيانه إلى أن قال لقومه، مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي [القصص] وقال: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى [النازعات] إلى غير ذلك من الطغيان والكفر والإلحاد والتمرد العظيم، كان جباراً طاغية متعالياً متغطرساً مستخفياً بقومه، إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ [القصص]، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ [الزخرف]

وكان مما يفخر به الأنهار العظيمة التي تجري من تحت قصره، ولما أراد الله عز وجل هلاك هذا الطاغية أهلكه هلاكاً فيه عبرة للمعتبرين وآية للمتّعظين؛ حيث أذن الله سبحانه وتعالى لنبيه وصفيه ورسوله وكليمه موسى عليه السلام بالهجوم على فرعون، فخرج موسى عليه السلام ليلاً قبل البحر الأحمر وعلم الطاغية بخروج موسى ومن معه فأمر فرعون أن يُحْشِرَ له الناس، فانطلق بجنوده وعتاده في أثر موسى ومن معه، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ [الشعراء] البحر أمامنا إن حُضِنَاهُ غَرَقْنَا، والعدو خلفنا إن وقفنا أدركنا؛ ونحن قلة فأين المفر؟ قال موسى بكل ثقة ويقين، كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ [الشعراء] وأصحابه يرون أن النصر مستحيل، لكن من توكل على الله كفاه، لأن موسى لا يشك في وعد الله، اقترب موسى من البحر وثقته بالله عظيمة، وتوكله عليه ليس فيه أدنى شك، فأمر الله موسى أن يضرب بعصاه البحر، فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ - الله أكبر -

ضرب موسى بعصاه البحر فانفلق البحر عن اثني عشر طريقاً يابساً لا وُحْلَ فيها ولا رَلَقَ، وصار الماء السيّال واقفاً بين هذه الطرق وقوف الجبال - الله أكبر !! ثم يمضي موسى ومن معه في هذه الطرق وعن يمينهم وعن شمالهم الماء واقف وقوف الجبال والأرض تحتهم يبس، فضى موسى ومن معه ولما تكامل موسى ومن معه خروجاً من البحر، وتكامل فرعون ومن معه دخولاً في البحر، أمر الله عز وجل البحر أن يعود كما كان، فهلك فرعون ومن معه بما كان يفخره، حيث كان يقول: وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي [الزخرف]

فأهلكه الله عز وجل غرقاً بالماء، وهكذا مصير كل طاغية جبار، إنها آية عجيبة، تأملوا هذه القصة العجيبة وما فيها من العبر البالغة كيف كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل خوفاً من ظهور موسى، فشاء الله أن يتربى موسى في بيته وتحت حجراته، وكيف قابل موسى هذا الجبار العنيد مصرحاً معلناً بالحق هاتفاً بالتوحيد قائلاً: أَلَا إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، صدق بالحق أمام هذا الطاغية فأناجاه الله جلّ وعلا منه.

وفي هذا الحدّ العظيم درس بليغ وهو أن النصر من عند الله، وأن عاقبة الظلم إلى زوال، وأن المؤمن مهما اشتدت عليه المحنُ فإن الفرج قريب إذا صدق مع ربه وتوكل عليه.

إنها آية عظيمة وقعت في اليوم العاشر من محرم، فأدرك موسى عليه السلام مِنَّةَ الله العظيمة عليه، حيث أهلك الله هذا الطاغية المتكبر في ذلك اليوم؛ فصامه موسى عليه السلام شكراً لله تبارك وتعالى.

ثم إنَّ الله عز وجل له الحكمة البالغة، ابتلى في يوم عاشوراء وتحديدًا سنة واحد وستين بعد الهجرة ابتلى عبداً من عباده ووليًا من أوليائه ورجلاً عظيماً شهد له النبي عليه الصلاة والسلام بالجنة، ابتلاه الله عز وجل في ذلك اليوم بابتلاء عظيم؛ حيث قُتل في اليوم العاشر من شهر الله المحرم، قُتل مظلوماً شهيداً في سبيل الله، وهذه الشهادة رفعة له عند الله تبارك وتعالى وعلواً في منزلته ومقامه، والله عزَّ وجلَّ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ؛ إنه الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنها، وكان رضي الله عنه شهيداً في سبيل الله، وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام عنه وعن أخيه الحسن، سَيِّدَا سَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وكان هذا القتل فيه ابتلاء، وفيه أيضاً محنة وتمحيص، ولهذا تفرَّق الناس من بعد ذلك القتل الذي حصل له إلى طرائق، ما بين غالي متجاوز لحد الله، وبين جافي غير مبالٍ بمكانة أولياء الله وأصفيائه، وبين أهل توسطٍ واعتدالٍ وقوامٍ وسداد، ألا وهم، أهل السنة والجماعة؛ أهل الوسطية والاعتدال بلا تفريط ولا إفراط ولا غلو ولا جفاء.

أما طائفة من الناس فتحوّل عندهم يوم عاشوراء من كل عام إلى يوم نياحةٍ ومآتمٍ يمارسون فيه أعمالاً لا تُرضي الله سبحانه وتعالى، وليست هي من دين الله بل جاء الدين الإسلامي بتحريمها ومنعها وتجريمها وبيان عقوبة فاعليها؛ من نياحةٍ ولطمٍ للخدود وشقٍّ للجيوب وضربٍ للجسم بالسكاكين، بل إلى ما هو أعظم من ذلك ألا وهو الاستغاثة بالحسين، فتحوّل يوم عاشوراء عند أقوامٍ بسبب هذه الحادثة إلى يوم نياحةٍ ومآتمٍ، تمارس فيه أعمالٌ ليست من دين الله عز وجل، بل إن كثيراً منهم يتقرَّب في ذلك اليوم بأن يريق شيئاً من دمه ودم عياله، إما من ناصيته أو من ظهره ويعتقدون أن ذلك موجباً للغفران ورفعة الدرجات!!

وهيئات هيئات أن يكون ذلك العمل من دين الله عز وجل، أو أن يكون من شرعه أو أن يكون مما يرضاه الحسينُ ابن علي وغيره من سادات الصحابة وأولياء الله المتقين، وقابل هؤلاء القوم الغلاة أقواماً آخرين عاملوا أهل البيت بالجفاء والتنقُّص والاحتقار وعدم معرفة أقدارهم؛ ألا وهم الناصبة الذين ناصبوا آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام العدا، فجعلوا ذلك اليوم العاشر يوم فرح وسرور ونشاط، يوتِّعون فيه على أنفسهم باللباس والأطعمة وبالخلوى وبالزينة ونحو ذلك، وهذه طريقةٌ مقابلة للطريقة الأولى مضادة لها؛ فالأولون غلاة، وهؤلاء جفاة، وخير الأمور أوسطها لا تفريط ولا إفراط وهو الطريق الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة وأهل الحق والاستقامة بأن مضوا على سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في ذلك اليوم يصومونه شكراً لله جل وعلا، وأما ما حدث للحسين في ذلك اليوم فإنه معدود عند أهل السنة من الجرم العظيم وظلم وعدوان، والحسين رضي الله عنه قُتل في ذلك اليوم شهيداً في سبيل الله.

خطبة الجمعة ليوم 19 يونيو 2026 م